تاريخ الإرسال: 2019/04/24 تاريخ القبول:2019/06/11

حماية البيئة بين المواثيق الدولية والشريعة الإسلامية

Protect the environment between international covenants and Islamic law

كريمة محروق karima mahrouk
karimanet79@yahoo.fr
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1 Montoya University of Constantine 1

الملخص:

تقوم فكرة حماية البيئة في الإسلام على أساس عقدي، فقد اعتبرت الحفاظ على البيئة ورعايتها من القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وجعلت هذه الرعاية جزءاً من العقيدة، وبهذا تضيف الشريعة إلى البعد القانوني والتشريعي بعداً آخر وهو البعد التعبدي، مما يدفع المسلم على سرعة الامتثال لهذه الأحكام.

ومما لاشك فيه أن الجهود التي تبذل في مجال حماية البيئة، وصيانتها في إطار التشريعات والقوانين الوطنية لا يمكن أن تؤتي ثمارها، وذلك ما لم تقترن بجهود أخرى على مستوى الصعيد الدولي، وذلك لأن البيئة من المجالات، التي نجد فيها ارتباطاً وثيقاً إلى أقصى مدى، بين القانون الوطني والقانون الدولي.

الكلمات المفتاحية: حماية البيئة ، المواثيق الدولية ، الشريعة الإسلامية

Abstract:

The idea of protecting the environment in Islam on a contractual basis is considered to be the preservation of the environment and its care from the proximity to which it draws closer to Allaah. This care has become part of the creed, and thus the law adds to the legal and legislative dimension another dimension which is the worshiping dimension. Compliance with these provisions.

There is no doubt that the efforts made in the field of environmental protection and maintenance within the framework of national legislation and laws can not bear fruit unless they are combined with other efforts at the international level, because the

environment is one of the most closely related areas, Between national law and international law
key words Protect ، environment ، international covenants ،Islamic law

المقدمة:

يجب على المؤلف أن يلتزم بالتوجيهات والإرشادات الموجودة في هذه الوثيقة عند كتابة المقالة، لا يغير حجم الخط أو المسافة بين الاسطر لزيادة أو إدخال مزيد من النصوص.
تقوم فكرة حماية البيئة في الإسلام على أساس عقدي، فقد اعتبرت الحفاظ على البيئة ورعايتها من القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وجعلت هذه الرعاية جزءاً من العقيدة، وبهذا تضيف الشريعة إلى البعد القانوني والتشريعي بعداً آخر وهو البعد التعبدي، مما يدفع المسلم على سرعة الامتثال لهذه الأحكام.

ومما لاشك فيه أن الجهود التي تبذل في مجال حماية البيئة، وصيانتها في إطار التشريعات والقوانين الوطنية لا يمكن أن تؤتي ثمارها، وذلك ما لم تقترن بجهود أخرى على مستوى الصعيد الدولي، وذلك لأن البيئة من المجالات، التي نجد فيها ارتباطاً وثيقاً إلى أقصى مدى، بين القانون الوطني والقانون الدولي.

إن المحافظة على البيئة وصيانتها مسئولية المجتمع الدولي بأسره، وإن حدوث أي خلل في البيئة في أي مكان من دول العالم تنعكس آثاره السلبية على الجميع دون تفرقة، مثلما حدث في حرب العراق والكويت أوائل التسعينيات حيث تلوثت مياه الخليج بالبترول، وأيضًا ما حدث من تسرب إشعاعي من مفاعل تشيرنوبل عام 1986 في أوكرانيا، حيث تأثر المجتمع الدولي من كل ذلك.

لقد أدركت دول العالم أن الأخطار البيئية التي تهدد العالم ليست خاصة بدولة دون الأخرى، وإنما يجب أن تتعاون الدول مع بعضها من أجل التصدي للأخطار البيئية، ولذلك بدأت المبادرات الوطنية بسن تشريعات وقوانين داخلية في كل دولة من أجل حماية البيئة، وجديرٌ بالذكر أن الجهود الرامية إلى حماية البيئة على الصعيد الداخلي، وفي إطار التشريعات الوطنية لايمكن أن تؤتي ثمارها بمفردها مالم تقترن بجهود أخرى مكملة لها على الصعيد الدولي.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية هذا البحث حول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

من ما هو موقف الشريعة الإسلامية من قضية حماية البيئة؟ما هو منهجها للوصول إلى حماية البيئة ورعايتها؟ما هي الآليات الدولية في حماية البيئة؟

أولا: حماية البيئة في المواثيق الدولية

إن الإنسان جزء لا يتجزأ من هذه البيئة لكن الميزة التي تميزه عن باقي عناصرها ومكوناتها انه يعي دوره الفاعل فيها، هذا الدور الذي يتوضح من خلال ممارسته اليومية لمظاهر حياته، وبفعل قدراته الجبارة أصبح مهيمنا على البيئة المحيطة به، وساعده في ذلك تزايده السريع وتطوره العلمي والتكنولوجي، وسعيه الحثيث لتلبية حاجاته.

إن التأثير المتزايد لأخطار التلوث على البيئة، واعترافا بالحاجة الملحة لتطوير القواعد القانونية المتعلقة بحماية البيئة والحفاظ عليها. جعل مشكلات حماية البيئة تفرض نفسها بقوة على الساحة الدولية كي تجد لها مكانا في القانون الدولي. أهم الاتفاقيات الدولية المبرمة في مجاله،

- اتفاقية لندن 1954 الخاصة بمنع تلوث البحار بالنفط.
- اتفاقية باريس 1960 بشأن التجارب الذرية.
- اتفاقية 1969 بشأن التدخل في أعالي البحار في حالات الكوارث الناجمة عن التلوث. لقد عالجت هذه الاتفاقية القواعد المنظمة للإجراءات الضرورية لحماية الشواطئ في حالة وقوع أضرار ناشئة عن كوارث نفطية في أعالي البحار.
- اتفاقية بروكسيل 1970 بشأن صيد وحماية الطيور.
- اتفاقية باريس 1972 المبرمة في إطار منظمة اليونسكو بشأن حماية التراث الطبيعي والثقافي.
- اتفاقية أسلو 1972 بشأن منع التلوث البحري من خلال إلقاء النفايات من الطائرات والسفن.
- الإعلان العالمي للبيئة في استوكهولم 1972 وهو اللبنة الأولى في صرح القانون الدولي للبيئة"[1]

- اتفاقية واشنطن 1977 في إطار منظمة العمل الدولي بشأن حماية العمال من الأخطار الناجمة في بيئة العمل عن تلوث الهواء وعن الضوضاء وما شابه ذلك .
- الميثاق العالمي للطبيعة 1980.
- اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982.
- اتفاقية فيينا لحماية طبقة الأوزون.
- الاتفاقية الدولية المبرمة سنة 1986 بشأن المساعدة المتبادلة في حالة وقوع حادث نووي [2].
- الإعلان الصادر عن قمة الأرض بريودي جانيرو 1992.
- اتفاقية مكافحة التصحر 1994[3].
- – بروتوكول كيوطو 16 مارس 1998 الذي يلزم الدول المتقدمة بالحد من الأنشطة الاقتصادية [4].
- على المستوى الإقليمي : أهم الاتفاقيات .
- " الاتفاقية الإفريقية لحفظ الموارد الطبيعية 1968.
- مبادئ سنتي 1974 بشأن حماية البيئة لبحر البلطيق.
- اتفاقية جدة 1982 بشأن حماية البيئة البحرية للبحر الأحمر وخليج عدن "[5] .

أما فيما يتعلق بالآليات الدولية لحماية هذا القانون ، نجد في هذا الخصوص، أنه بعد مؤتمر استوكهولم 1972 الذي حضره ممثلون عن جميع أعضاء الأمم المتحدة ، " تم إنشاء جهاز دولي تابع للأمم المتحدة .يعنى هذا الجهاز بشؤون البيئة حيث أطلق عليه " برنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE" [6]. فهو يسهم في تقديم المساعدات اللازمة في نشر المعارف البيئية . كما قامت بعض المنظمات الدولية المتخصصة بتوفير آليات خاصة بقضايا البيئة كمنظمات اليونسكو للأغذية والزراعة، منظمة العمل الدولية....

وأخيرا يمكن القول، أنه ورغم النمو المزدوج للقانون الدولي البيئي على المستوى الكمي والنوعي، مازال يعاني من صعوبات في التطبيق . فهو في الغالب يأخذ شكل توصيات غير ملزمة للدول..

ثانيا دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة

لقد اعتمد المنهج الإسلامي في حماية البيئة والمحافظة عليها على الركائز التالية7 :

- التشجير والتخضير ،العمارة والتثمير،النظافة والتطهير،المحافظة على الموارد.

الحفاظ على الإنسان،الإحسان إلى البيئة ،المحافظة على البيئة من الإتلاف،حفظ التوازن الطبيعي.سيتم التطرق إلى كل ركيزة على حدة:

1-التشجير والتخضير: هي من أهم الركائز المعتمدة في المحافظة على البيئة ، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد،أن الاهتمام باستزراع النباتات لم يكن وليد العصر ، ولا من محدثات الزمن ،بل دعا إليه الدين الإسلامي منذ أربعة عشر قرنا، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه ويدعوهم إلى الزرع والتشجير8.

- ويظهر هذا جليا في القرآن الكريم في معرض امتنان الله على خلقه بما سخر لهم من أسباب الزرع والغرس والتشجير والخضرة فيقول سبحانه:"وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا تخرج منه حبا متواكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يومنون"9 . وفي سورة أخرى يقول تعالى :" هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون"10 .

وكما توجد في القرآن آيات تحث على الزراعة والغرس، توجد أحاديث نبوية تؤكد نفس الأمر : عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " 11 . فالمراد من هذا الحديث هو الحث على الغرس إلى آخر رمق في حياة الإنسان .

كما يدل أيضا على الطبيعة المنتجة والخبرة للإنسان المسلم فهو بفطرته عامل معطاء للحياة، كالنبع الفياض، لا ينصب ولا ينقطع، حتى إنه ليظل يعطي ويعطي إلى آخر لحظة في حياته رغم أنه لن يأكل من ثمر غرسه . فالعمل هنا يؤدى لذات العمل لأنه ضرب من العبادة والقيام بحق الخلافة لله في الأرض إلى آخر نفس12 .

ولقد بين العلم الحديث: أن التشجير له فوائد أخرى غير ما عرفه الناس قديما من الثمار والظل وتخفيف الحرارة وغيرها ، مثل : المساعدة في حفظ التوازن البيئي ، وامتصاص الضوضاء ومقاومة الآثار الضارة للتصنيع على البيئة أو التخفيف منها على الأقل .

لقد رغبت السنة النبوية في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعلت ثواب ذلك أجرا عظيما فاعتبرت هذا العمل صدقة ينميها الله عز وجل لصاحبها إلى يوم القيامة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :"ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة ،إلا كان له به صدقة"13 .ومن مستلزمات الزراعة حفر الأنهار والقنوات، فشق الأنهار من الأعمال التي يلحق ثوابها المؤمن بعد موته." فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه، أو بيتا لا بن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته."14

2-العمارة والتثمير:

- ومن المقومات الأساسية للمحافظة على البيئة في نظر الإسلام: ما حث عليه التوجيه الإسلامي وقام عليه التشريع الإسلامي من عمارة الأرض و إحياء مواتها، وتمييز مواردها وثرواتها.

ولقد اتفقت شرائع الأنبياء ورسالات السماء على عمارة الأرض وإصلاحها وحظر الإفساد فيها . فالإسلام نهى عن الإفساد في الأرض مصداقا لقوله سبحانه: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا "15. وهذا الإفساد يشمل الإفساد المادي ، بتخريب العامر وإماتة الأحياء، وتلويث الطاهرات ، وتبديد الطاقات واستنزاف الموارد في غير حاجة ولا مصلحة وتعطيل المنافع . كما يشمل أيضا الإفساد المعنوي كمعصية الله تعالى ، ومخالفة أمره والكفر بنعمته ، والتمرد على شريعته والاعتداء على حرماته ومحاربة الفضائل وترويج الرذائل 16 .

وما جاءت به شريعة الإسلام من عمارة الأرض:إحياء الموات. وإحياء الموات هو تعبير إسلامي مقتبس من الحديث النبوي: " من أحيا أرضا ميتة فهي له "17 . والأرض الميتة

هي الأرض البور ، التي لا زراعة فيها و لا بناء ، سماها الرسول صلى الله عليه وسلم ميتة للإشارة أن الأماكن والأراضي تموت وتحيى، كما يحيى الإنسان ويموت18
وموت الأرض إنما يكون بتركها بوارا، لا ينبت فيها نبات ولا يغرس فيها شجر، ولا يقوم فيها بناء ولا عمران . وحياة الأرض بإجراء الماء فيها، وإنبات الزرع، وغرس الشجر وإقامة أسباب السكن والمعيشة. قال سبحانه في كتابه المحفوظ: " وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون".19
ومما سبق يمكن القول أن زراعة الأراضي واستصلاحها يعد من أفضل الأعمال حث عليها الإسلام، ورغب فيها، ووعد فاعليها بأفضل الثواب. فالرسول صلى الله عليه وسلم قرر ملكية الأرض لمن أحياها، تشجيعا على الإحياء. ولا ريب أن حب التملك دافع فطري قوي في الإنسان، فإذا وجد أن كل ما يحييه ويعمره من الأرض يملكه، دفعه ذلك إلى تحريك الهمة.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق "20 .
ولا يخفى فضل إحياء الأرض في زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني فضلا عن دوره في المحافظة على التربة و منع تفككها و تعرضها للتصحر.[21]

3-النظافة والتطهير :

اهتم الإسلام بالنظافة اهتماما خاصا وحث على الطهارة ،فموقفه هذا لا نظير له في أي دين من الأديان ، فالنظافة فيه عبادة بل فريضة من فرائضه . وبهذا تكون النظافة والطهارة اندرجت تحت أحكام العقيدة .
وقد امتدت هذه النظافة إلى البيئة حيث من واجب الإنسان أن يعيش في بيئة نظيفة طاهرة فمن أول مباحث العبادات في الإسلام الصلاة ،ومن أهم واجباتها الطهارة .
ويدخل في هذا الإطار نظافة مصادر الماء : فالماء نعمة كريمة وسبيل عملي لحياة الإنسان والحيوان والنبات ،وإفساده يؤدي إلى مخاطر كبيرة تهدد جميع عناصر البيئة22
قال تعالى في كتابه العزيز: "وجعلنا من الماء كل شيء حي "23 .
لقد أولى الله تعالى اهتماما بالنظافة والطهارة ، ويظهر هذا جليا في قوله سبحانه:"إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين "24 .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الطهور شرط الإيمان "25. أي نصفه وقد اهتم عليه الصلاة والسلام بنظافة الأمكنة أيضا ." فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ،فماتت ،فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها ، فقالوا: ماتت،فقال :أفلا كنتم آذنتموني، دلوني على قبرها ،فأتى قبرها فصلى عليها"26. لقد استحقت هذه المرأة هذه المكانة نتيجة قيامها بتنظيف المسجد . فالنبي صلى الله عليه وسلم يضرب المثل للصحابة ،لذلك حرص على إزالة الأذى والقذر بنفسه ، حتى يعلمهم العناية بالنظافة عامة بالمساجد خاصة لأنها ملتقى المسلمين ومظهر حضارتهم، ووجه دينهم، وعلى الأخص جهة القبلة.27

4-المحافظة على الموارد :

هو موضوع مهم يبحثه الاقتصاديون ،كما يبحثه علماء البيئة، فهو دعامة من الدعائم المهمة في الحفاظ على البيئة وصلاحها ونمائها وبركتها28 .

فالمحافظة على الموارد تكون بالحفاظ عليها من التلف والخراب أو الإسراف أو التلوث أو غير ذلك . ويقول الحق سبحانه في كتابه العزيز : "كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين " 29. ويقول أيضا سبحانه :"ولا تطيعوا أمر المسرفين ،الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون "30.

فالموارد هي هبات الله في الطبيعة التي يمكن أن تتحول إلى ثروة: الغلاف الجوي الغازي بعناصره المختلفة ،الغلاف المائي ،الغطاء النباتي الطبيعي في صوره المختلفة. وبمعنى آخر هي الموارد الزراعية (المناخ ،التربة) والموارد النباتية في صورة الغابات والحشائش ، الموارد البحرية ،الموارد التعدينية في صخور الأرض ومعادنها المختلفة .....

لذلك وجب على الإنسان أن ينهج الترشيد في استخدام واستهلاك هذه الموارد حسب الحاجة إليها بشكل منظم ومخطط،إذ إن هناك ثروات وموارد غير متجددة تنفذ بالاستهلاك .

إن الإسراف في استنزاف الموارد واستهلاكها بشكل عشوائي يمثل نوعا من الأنانية؛إذ إنه يؤدي إلى حرمان الآخرين من هذه المواد . وإضافة على ذلك، فالإسراف إهدار لنعم الله عز وجل .

وتحفل السنة النبوية بالعديد من النصوص التي تحث على حماية الموارد وصيانتها:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه "31 .
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :اتقوا الملاعن الثلاث :البراز في الموارد ،وقارعة الطريق والظل "32.
إن ممارسة هذه السلوكيات وغيرها يتسبب في إفساد الموارد وتلويثها . فالتبول والبراز يجعل البيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشارها الأوبئة .والإسراف في استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات، يؤدي إلى تدهورنوعية مياه الأنهار والبحيرات وبالتالي تلويث غذاء الإنسان والحيوان والنبات.

5-الإحسان إلى البيئة :

الإسلام يربي الفرد على التعامل مع كل ما حوله بإحسان كما في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إن الله كتب الإحسان على كل شيء"33. ومعنى أنه كتبه أي فرضه 34.
فالإحسان هو الإحكام والإتقان وفي حديث جبريل الشهير الإحسان :أن تعبد الله كما تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهو يفسر معنى الإحسان في العبادة 35.
)1(ومعناه الثاني : هو الإشفاق والحنان والإكرام .قال تعالى :"وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين "36
المعنيان مطلوبان في التعامل مع البيئة ،فيجب على الإنسان أن يعاملها بإحكام وإتقان لا بإهمال وغفلة وإضاعة . كما يجب أن تعامل برفق وإشفاق وحنان كما في الحديث: " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"37.
ويتجلى هذا الرفق مع كل عناصر البيئة ،فيشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد ويدخل في هذا الإطار :

- الإحسان بالإنسان: عن المستنير بن الأخضر قال : حدثني معاوية بن قرة قال :كنت مع معقل المزني، فأماط أذى عن الطريق ، فرأيت شيئا فبادرته ،فقال: ما حملك على ما صنعت يا ابن أخي ؟ قال رأيتك تصنع شيئا فصنعته فقال : أحسنت يا ابن

أخي! سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من أماط أذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة ،ومن تقبلت له حسنة دخل الجنة "38.

ويدل هذا الحديث أن إماطة الأذى عن الطرقات يكسب الثواب والأجر. كما أن رسول الله جعلها شعبة من شعب الإيمان .

- الإحسان بالحيوان :من أروع ما جاء به الإسلام في عصر ما كان يعتبر لهذه الحيوانات قيمة أو حقا ،وأن في الإحسان إليها أجر . عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا –أو دجاجة – يترامونها . فلما رأوا ابن عمر تفرقوا:فقال ابن عمر: من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ،إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا "39.

لقد جاءت الأحاديث النبوية تحرض على الرحمة بالحيوان وترهب من القسوة عليه وإضاعته وإهماله منذرة بوعيد شديد لمن اقترف شيئا من هذه السلوكات ،عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :"عذبت امراة في هرة،سجنتها حتى ماتت ،فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها، ولا سقتها ،إذ حبستها ولاهي تركتها تأكل من حشاش الأرض "40.كما تنبأ بجزيل المتوبة عند الله لمن أحسن إلى هذه المخلوقات.

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش ،فوجد بئرا فنزل فيها ،فشرب ثم خرج . فإذا كلب يلهث،يأكل الثرى من العطش ،فقال الرجل :لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ،فسقى الكلب ،فشكر الله له فغفر له ،قالوا :يارسول الله ،وإن لنا في البهائم لأجرا ؟فقال: في كل ذات كبد رطبة أجرا "41.

6- المحافظة على البيئة من الإتلاف:

يقاوم الإسلام بشدة كل عمل يفسد البيئة ويتلف عناصرها ويعتبر ذلك عملا محرما يعاقب الله عليه، ومنكرا يجب النهي عنه ، وتغييره باليد أو باللسان أو بالقلب وذلك أضعف الإيمان 42.

وهناك أنواع من الإتلاف بدوافع مختلفة كلها محرم شرعا:

- الإتلاف بدافع القسوة : وخير مثال ما جاء في حديث المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعا .فاستحقت النار لقسوة قلبها وخلوه من الرحمة.

- الإتلاف بدافع الغضب :غالبا ما يؤدي الغضب بصاحبه إلى سلوكيات غير شرعية وهو محرم لا سيما إذا أدى إلى إبادة عنصر من عناصر البيئة (كنوع من الحيوان،أو النبات) .فقد أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الغضب والاتصاف بالحلم والصبر.

- الإتلاف بدافع العبث : هو من الإتلاف المحذور شرعا ومعناه :ألا يكون له هدف يحقق له المنفعة معتبرة من وراء هذا الإتلاف المعتمد ،وأفضل ما نستشهد به ما أقره خير البرية في الذي يعبث بأرواح المخلوقات بأنه ملعون.

- الإتلاف بلا ضرورة ولا حاجة :وهو قريب من الإتلاف العبثي:وهو إتلاف لعناصر البيئة بلا ضرورة تلجئ إلى ذلك ولا حاجة معتبرة تدفع إليه، إنما هو الجهل والظلم والإفساد في الأرض[43].

- قال رسول الله صلى اله عليه وسلم :" من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار "44. والسدر شجر يقاوم الحر وينتفع الناس بثماره . وهذا الحديث يدل على تأكيد المحافظة على البيئة بكل عناصرها.

–الإتلاف بسبب الإهمال :وهذا النوع محرم أيضا لأن التقصير والإهمال في حق البيئة يؤدي إلى أخطار جمة . إذن لا يجب إهمال الحيوان حتى يموت ، أو إهلاك الزرع حتى تأكله الآفات ،والأطعمة حتى يتلفها العفن ، إهمال الآلات حتى يأكلها الصدأ ،إضاءة الأنوار نهارا حتى تستهلك الطاقة وغيرها من السلوكات السيئة في حق هذه البيئة.

– الإتلاف في الحرب :من روائع هذه الشريعة الإسلامية عدم جوازها للإتلاف والفساد لعناصر البيئة حتى في حالة الحرب ،التي يخرج فيها الناس عن المعتاد.

جاء في وصايا أبا بكر لقواده في الحرب هذه الوصية الواضحة الحاسمة:

" فقد قال يحي بن سعيد : حدثت أن أبا بكر بعث جيوشا إلى الشام ،فخرج يشيع يزيد بن أبي سفيان فقال : إني أوصيك بعشر لا تقتل صبيا ،ولا امرأة ،ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ،ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة ، ولا تغرقن نخلا ،ولا تحرقنه ، ولا تغلل ولا تجبن"45.

- **حفظ التوازن الطبيعي :**

لقد خلق الله تعالى هذا الكون بحساب وقدر مصداقا لقوله تعالى :"وخلق كل شيء فقدره تقديرا "46. قال سبحانه :" الشمس والقمر بحسبان ،والنجم والشجر يسجدان،والسماء رفعها ووضع الميزان،ألا تطغوا في الميزان ،وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان 47."

فالمطلوب من الإنسان العدل والاعتدال في معاملته مع البيئة وعناصرها، ويدخل في هذا الإطار المحافظة على التنوع الحيوي الذي يوفر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض. كما أن الحياة الفطرية تعد المصدر الرئيسي لتزويد الإنسان بالغذاء والمواد الخام اللازمة لصناعة ملابسه ،وتتيح له المجال لممارسة هواياته في الصيد أو الترويح عن النفس.

ولعل ما هو أهم من ذلك أن لكثير من الأنواع الحية دورا أساسيا في استقرار المناخ وحماية موارد المياه والتربة. كما أن كثرة الأنواع الحية توفر مخزونا للمعلومات عن السمات الوراثية التي ترشد إلى اختيار محاصيل جديدة وتساعد على تحسين الأنواع الموجودة حاليا.

ثالثا: البيئة بين التصور الإسلامي والمواثيق الدولية.

ان الإسلام قد عنى عناية كبيرة بالبيئة ، ووضع للإنسان القواعد والأسس السليمة التي تكفل حسن استغلال البيئة والمحافظة عليها.اعتمد المنهج الإسلامي على الترهيب تارة والترغيب تارة أخرى .

كما ربط الحفاظ على البيئة ومكوناتها بالضروريات الخمس ،إضافة على أن كل العلوم التي انبثقت كأصول الفقه وعلم شروح الحديث النبوي تعرض جوانب هامة من رعاية البيئة.

إن الإسلام يربط بين البيئة وبين البعد التوحيدي والمنظومة الأخلاقية. فالنظام البيئي ليس مجرد مكونات مرصودة وعناصر محسوبة ،وإنما لا بد من وصل بينها وبين النفس البشرية ليتأتى تزكيتها وتطهيرها 48 .

كما أن التعاليم والأحكام الإسلامية في رعاية البيئة وإصلاحها ليست مجرد أفكار فلسفية ،حبر على ورق، كما يقال ،بل هي أوامر إلهية وتوجيهات ربانية يجب على المسلمين تفاديها بمقتضى إسلامهم وبحكم إيمانهم49

[50]أما القوانين الوضعية فهي وإن واتاها التحكم في الجوارح وترويضها، فلا سلطان لها البتة على الجوانح التي يرعاها الدين وتزكيها التقوى 51. يقول عز وجل في كتابه: " قد أفلح من زكاها ،وقد خاب من دساها "52.

لقد كان الإسلام سباقا إلى عدة حلول تسهم في الحفاظ على البيئة ومكوناتها،منها : نظام المحميات الذي لم يعرفه العالم المعاصر إلا في القرن التاسع عشر حيث أعلنت حكومة واشنطن عن تأسيس محمية طبيعية سنة1864م،و انعقد أول مؤتمر دولي للمحميات في الولايات المتحدة سنة 1964 م .فالإسلام زف إلى الكون إنشاء محميتين لا نظير لهما في تاريخ البشرية وهما : المحمية المكية والمحمية المدنية .فهذه هي الدعوة التي تبناها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا.

يتميز المنهج الإسلامي بخطاه المدروسة والعملية وحتمية تنفيذه. بينما المواثيق الدولية هي توصيات تضرب عرض الحائط من طرف الدول المهيمنة وتطبق فقط في حق الدول الضعيفة.

لقد عرف العرب نوعا من الغلو في جوانب الرفق بالحيوان حيث أن 80 مليون كلب يربى في المنازل ،إضافة إلى إعطائه حق الإرث ،كما الكلاب في بعض الدول يصل مصروفها اليومي إلى ما يصرف عن عائلته بأكملها في بلدان العالم الثالث. فهذا يعتبر تغييرا لفطرة الله التي فطر الناس عليها فلا يمكن أبدا أن يتساوى الإنسان مع الحيوان ، فهذا فيه نوع من التزايد والمغالاة.

-المسؤولية الناشئة في مجال حماية البيئة في الشريعة الإسلامية

يُقصد بالمسؤولية الناشئة في مجال حماية البيئة في الشريعة الإسلامية هي المؤاخذة وتحمل نتائج الأفعال الضارة التي تتعلق بالبيئة المتمثلة بالاعتداء عليها أو على أحد مكوناتها، وهي أحد صور منهج الشريعة العقابي للمعتدين على البيئة، ومصطلح المسؤولية مصطلح قانوني يعبِّر عنه الفقهاء بالضمان أو التعويض المالي، ومعناه: "ردُّ

مثل التالف إذا كان مثلياً، أو قيمته إذا كان لا مثل له أو هو: تغريم الإنسان وإلزامه بتعويض الغير مما أصابه من ضرر، فالضمان هو التعويض المالي الذي يلتزم به كل شخص سبَّب ضرراً للغير، فكل من أتلف مالاً للغير، كإحراق الزرع أو قطع الشجر، أو تلويث الماء، يجب عليه تعويض المتضرر مما أصابه من تلف في ماله، إما بردِّ مثله إن كان مثلياً، أو قيمته، وعلَّة الضمان في هذه الحال هي الضرر؛ لأنَّ الضرر مطلقاً يوجب التعويض، ولا يشترط في الفاعل الذي أحدثه القصد أو العمد أو الإدراك أو التمييز، فمبنى الضمان هو جبر الضرر وترميم آثاره، لا عقوبة زجر، بل هو بدل مال لا عقوبة أفعال.

ومن خلال تتبع النصوص المتعلقة بالبيئة وتحريم الاعتداء عليها بإفسادها، نرى كيف عالج الإسلام هذه المشكلة بالتوجيه والإرشاد تارة، والمكافأة تارة أخرى، ثم العقوبة في نهاية الأمر، وعليه فهناك مسؤولية تقع على من يُلحق الضرر بالبيئة أو يتسبب في تلويثها بما يحقق ضرراً للآخرين، وقد شرعت الشريعة عقوبات أخرى مترتبة على التسبب في تلويث البيئة أو إلحاق الضرر بها أو بأحد مكوناتها سوى عقوبة الضمان أو التعويض المالي؛ كالعقوبات البدنية: مثل التوبيخ والإنذار والضرب والحبس، حيث يوقعها الحاكم على كل من يرتكب مخالفة، أو عملاً يُلحق الضرر بأيٍّ من الموارد البيئية؛ كقطع الأشجار، أو غيرها، وكذلك الشأن في تلويث الهواء بدخان المصانع، وما تؤدي إليه من الأضرار الجسيمة التي تفوق المصلحة الحاصلة منها، فللدولة عندئذ إيقاع العقوبة التعزيرية الرادعة مالية كانت أم بدنية، أم إغلاق المصنع وإيقافه عن العمل، حسب ما يراه الجهاز القضائي المختص في الدولة، فمن حقِّ الدولة منع استخدام المواد والأدوات الملوثة للبيئة، وكذلك منع الأيدي العاملة التي تقدم خدماتها ملوثة غير نظيفة، وكذا منع مداخن الأفران والمصانع في الأماكن السكنية التي تلوث البيئة وتضر بالسكان، ومنع الذبح في الطرقات، وكذلك يترتب عليها مسؤولية التخلص من النفايات الطبية والصلبة بطريقة صحية تضمن سلامة البيئة وعدم تلوثها، وكذا تشكيل جهة تراقب كل ما يتعلق بالبيئة والحفاظ عليها، ومحاسبة المخالفين، كما سبق ذكره.

وينبغي التنبيه على أنَّ تقدير العقوبة وتقريرها بخصوص الاعتداء على البيئة يُحدَّد بحسب نوع الجناية، وحال الجاني، وعظم الجريمة، وذلك رعاية للمصالح، على أنه يشترط في تطبيق هذه العقوبات التعزيرية، التدرج في العقوبة من الأخف إلى الأشد، تحقيقاً للردع والتأديب، فلا يجوز المعاقبة بالعقوبة الأشد متى كانت الأخف رادعة وكافية للتأديب، ومحققة للمقصد؛ لأن المقصود الأعظم هو حماية البيئة وليس إيقاع العقوبة.

خاتمة:

أولتْ الشريعة الإسلامية البيئة اهتمامها وعنايتها، وذلك من خلال منظومة متكاملة من التوجيهات والتشريعات والمبادئ بهدف حماية البيئة بكافة أشكالها ومكوناتها، ووضعت من الضوابط ما يمنع من الاعتداء عليها أو إهدارها أو استنزاف مواردها.كما كرست المواثيق الدولية هذه الحماية في العديد من المناسبات.

أهم النتائج المتوصل اليها:

ضرورة نشر التوعية المجتمعية بأهمية المحافظة على البيئة وحرمة الاعتداء عليها وتلويثها.

طرح الجوائز التحفيزية لمن يقوم بمساهمات أو أعمال مبتكرة تساعد وتساهم في تحسين البيئة وتحقيق جمالها.

الاهتمام بفقه البيئة في دراسات الفقه الإسلامي بكليات الشريعة والقانون في الجامعات العربية والإسلامية.

التعاون مع المجتمع الدولي بمختلف الصور في سبيل حماية البيئة ومنع تلويثها، والانضمام للعهود والاتفاقيات الدولية المنعقدة لحماية البيئة ما لم تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية.

ضرورة إفراد دراسات مستقبلية تهتم بوضع آليات عملية لتطبيق الرؤية الشرعية في حماية البيئة بشكل واقعي وعملي وملموس.

قائمة المصادر والمراجع

1. الوجيز في قانون البيئة للدكتور عبد المجيد السملالي الطبعة الأولى سنة 2006، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

2. جريدة المنعطف ضمن سلسلة من سبع حلقات ما بين 19و 28 فبراير 1998م.
3. المحافظة على البيئة من منظور إسلامي للدكتور قطب الريسوني الطبعة الأولى 1429 م 2008 م دار ابن حزم.
4. مجلة عالم الفكر، العدد 3 المجلد 32 سنة 2004 مطابع دار السياسة، مقالة: التربية البيئية ومأزق الجنس البشري ليعقوب أحمد الشراح.
5. رعاية البيئة في شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى 1421هـ- 2001 م دار الشروق، القاهرة.
6. الموطأ للإمام مالك الطبعة الثالثة، سنة 1416هـ/ 1996م مطبعة فضالة المغرب.
7. الأدب المفرد للبخاري تحقيق: سمير بن أمين الزهيري 1419 هـ/1998م مكتبة النشر والتوزيع الرياض.
8. صحيح البخاري الطبعة الأولى سنة 1419 هـ 1998 م دار الكتب العلمية بيروت.
9. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف الطبعة الأولى 1418 هـ 1998م دار الجيل بيروت.
10. رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة للدكتور شحاتة، الطبعة الأولى 1421هـ 2001م دار الشروق القاهرة.
11. صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية 1972م دار إحياء التراث العربي بيروت .
12. سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس الطبعة الأولى 1388هـ/ 1969م دار الحديث حمص سوريا .
13. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني سنة 1415هـ /1995 م مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
14. مسند أحمد بن حنبل دار صادر بيروت .
15. موقع الإلكتروني ماهية البيئة / knol.google.com/k/judge_dr.osama مقالة ماهية البيئة للمستشار الدكتور أسامة عبد العزيز.

16. الموقع park على الشبكة العنكبوتية ، سلسلة أوراق غير دورية: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، مقالة التشريعات البيئية للمستشار محمد عبد العزيز الجندي تاريخ النشر يناير 2000.

17. الموقع الإلكتروني ongla ayoune2010.heber gratuit.com إسم المقالة: التنمية والبيئة والمعادلة الصعبة، القانون المغربي رقم 11.03 المتعلق بحماية البيئة واستصلاح البيئة المادة :3

18. الموقع الإلكتروني www.cmes_maroc.com

المركز المغربي للدراسات الإستراتيجية: مقالة :القواعد الدولية لحماية البيئة للأستاذة الباحثة حياة زلماط بتاريخ 2004-11-24 .

19. أنظر الموقع الإلكتروني quran.maktoob.com/vb/quran21595

البيئة ومنهج الإسلام / منتديات صوت القرآن الحكيم.

20. أنظر الموقع الإلكتروني www.islamset.com/arabic/aenv/eip.htmel

البيئة من منظور إسلامي تقديم الأستاذ الدكتور سالم مرزوق الطحيح من كلمات السمو الشيخ جابر أحمد الصياح في دعوته المخلصة لحماية البيئة.

الهوامش والمراجع المعتمدة

1 انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية www. Cmes-mroc.com. مقالة القواعد الدولية لحماية البيئة لحياة زلماط

2 انظر نفس الموقع السابق

3 – عبد المجيد السملالي . الوجيز في قانون البيئة ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع،2006 الطبعة الأولى، ص:44

4 – – انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية www.cmes-maroc.com .

5 – نفس الموقع السابق

6 – نفس الموقع السابق

7 – يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام ، دار الشروق، مصر ، الطبعة الأولى ، 2001،ص57

8 – انظر الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: www.islam set.com/ arabic/aenv/eip.htmel

صالح وهبي، البيئة من منظور إسلامي،2004ط1، ص 22.

9 – سورة الأنعام الآية :99.

10 – سورة النحل الآيتان 10–11

11 – رواه البخاري في الأدب المفرد باب اصطناع المال :رقم الحديث: 479 (1 / 242)

12 للقرضاوي، مرجع سابق، ص:58–59–61–63.

13 . رواه البخاري كتاب الحرث والزراعة باب فضل الزرع والغرس إذا أكل رقم الحديث :2320 (2 /76)

14 – سنن بن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني باب ثواب معلم الناس الخير رقم الحديث 242 (227/1).

15 – سورة الأعراف الآية :56.

16 – نفس المصدر السابق،ص:69–70

17 – رواه البخاري في صحيحه كتاب الحرث والمزارعة باب : من أحيا أرضا مواتا (80/2)

18 – القرضاوي، نفس المرجع، ص :71.

19 – سورة يس:الآية 33.

20 – رواه البخاري في صحيحه :كتاب الحرث والمزارعة ،باب من أحيا أرضا مواتا رقم الحديث: 2335 (81/2)

21 – القرضاوي، مرجع سابق،ص:72–80

22 – عبد الله شحاتة،رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ، دار الشروق،ص :64.

23 – سورة الأنبياء الآية : 30

24 – البقرة الآية: 222.

25 . رواه مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم الحديث 223 (203/1)

26 – رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذروالعيدان رقم الحديث :458 .(117/1)

27 – القرضاوي، مرجع سابق، ص:80.

28 ––نفس المصدر السابق ص: 83–84.

29 سورة البقرة الآية: 60.

30 – سورة الشعراء الآيتان: 151–152

31 – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء باب: البول في الماء الدائم رقم الحديث :239 (65/1)

32 – رواه أبو داود في سننه. كتاب الطهارة باب: المواضيع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها رقم الحديث 26 (28/1)

33 – رواه مسلم كتاب الصيد والذبائح.باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة رقم الحديث:1955. (1548/3)

34 – القرضاوي، مرجع سابق، ص:120.

35 – نفس المصدرونفس الصفحة

36 – سورة النساء .الآية 36.

37 – رواه البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدين باب إذا اعرض الذمي...رقم الحديث 2927.(315/4)

38 – رواه البخاري في الأدب المفرد باب البغي رقم الحديث 593. (306/1)

39 – رواه البخاري في صحيحه كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد،باب النحر والدبح رقم الحديث :5515 (481/3)

40 – رواه البخاري في صحيحه،كتاب أحاديث الأنبياء الحديث رقم:3462 (411/2)

41 – رواه البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب الآبار على الطرقات إذا لم يتأذى بها رقم الحديث 2466 ص.423

42 – للقرضاوي، مرجع سابق، ص: 143–144

43 – للقرضاوي، مرجع سابق، ص:146

44 – رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب ،باب قطع السدرة ،رقم الحديث 5239 (404/5)

45 – رواه الإمام مالك في الموطأ :كتاب الجهاد باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، رقم الحديث: 60

46 – سورة الفرقان الآية 2.

47 – سورة الرحمان الآيات:5–6–7–8–9.

48 – قطب الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي ، دار ابن حزم ، لبنان، 2008، ص :121.

49 – للقرضاوي، مرجع سابق، ص:243.

50

51 – قطب الريسوني ، مرجع نفسه،ص:124.

52 – سورة الشمس . الآيتان 9–10